

جناح متفرد



بشينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

حديث الروح ..

■ يا حياة حياتي، سأحاول أبداً أن أبقي جسدي نقياً، عالماً أن لمستك الحياة تعلو جميع أعضائي.

سأحاول أن أجلي الزييف عن جميع أفكاري، عالماً بأنك أنت الحقيقة التي توكل نور الحق في ذكري.

سأحاول أبداً أن أطرد كل الشرور من قلبي، وأن أبقي حبي في وردة، عالماً بأنك تتخذ مقعدك في المكان المقدس الخفي من قلبي. وأنه لنمن واجبى أن أفشيك في كل أعمالى، عالماً بأنها قدرتك التي تمنحني القوة للعمل. افني أطمع في لحظة من الراحة إلى جانبك.. كل الأعمال التي بين يدي سوف أنجزها فيما بعد..

بعيداً عن رؤية وجهك، فإن قلبي لا يعرف الراحة ولا الاستقرار، وعملي يتحول إلى ضنى لا متناء على بحر لا شاطئ له من العنا..

اليوم أقبل الصيف لนาذرتى بنتهاده وهمساته، والتحللات تلعب أناشيدها في محراب الأياكة المزهرة.

الآن آن الأوان لأن أجلس في هدوء، ووجهى قبلة وجهك، وأن أغنى نذر الحياة في هذا الصمت وفي هذا الفراغ الغامر.

دع عنك الآشيد، والترانيم، وحديث السبات.. من ترك تبعد في هذه الزاوية المهجورة المظلمة في معبد؛ نواذه كلها موصدة.

إنه هناك حيث الفلاح يفلح الأرض القاسية، وحيث العامل يحطم الصخور، إنه معهما تحت الشمس والمطر، ورداوه معقر بالغبار انزع معطفك المقدس واهبط مثله على الغبراء.

الخلاص؟ أين يوجد هذا الخلاص.. إن مولانا ذاته -بغبطـة-. تكفل بروابط الخلق، وقد ارتبط بنا إلى الأبد.. أخرج من تأملاتك ودع جانباً زهورك وبخورك! ماذا يغير لو تقطعت ملابسك إذ تعقرت.. قابله وقف إلى جانبه في الكدح وفي عرق وجنتيك.

إنني أنتظر الحب فقط لاستسلام بين يديه أخيراً..

لهذا فالآوان فات ولهذا صرت أثماً في هذه الفضة.. جاؤوا.. بقوانيينهم ونظمهم.. يقيدونني، ولكنني تفاديتم للأبد لأنني أنتظر الحب لاستسلام بين يديه أخيراً..

يلومني الناس ويرموني بالطيش، إني لا أشك أنهم على صواب في لومهم.. انتهى يوم البیع والشراء وأنجز المشغولون جميع أعمالهم.. أولئك الذين جاؤوا بيدغوثني عيشاً، عادوا غاضبين.. فإني أنتظر الحب فقط لاستسلام بين يديه أخيراً..

لا أعلم كيف غنيت يا معلمى.. إني أبدأ أصفى في طرب صامت.. نور موسيقاك يضيء الدنيا.. نفس الحياة في موسيقاك ينساب من سماء إلى سماء.. نبع موسيقاك المقدس يجتاز كل العقبات وينـ.

قلبي يتوقف لمشاركةك الغناء وتكن عيناً يصارع من أجل الصوت.. أود النطق، ولكن الكلام عيّن عن أن ينفجر بالغناء، فأبكي من الارتباك.. آه يا معلمى لقد جعلت قلبي أسيـر شباك موسيقاك اللامتناهية..

لقد رمت أغبنيـي حـلـيـهاـ، ولـنـ تـبـاهـيـ باللبـاسـ والـزـيـنةـ، فالـحـلـيـ قدـ تـعـيـقـ اـتـحـادـناـ وـتـحـولـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ، فـتـطـغـيـ وـشـوـشـتـهاـ عـلـىـ هـمـسـاتـكـ..

إنـ زـهـويـ كـشـاعـرـ يـمـوتـ مـنـ الـخـجلـ أـمـامـ نـظـرـتـكـ، أـنـهاـ السـيـدـ الشـاعـرـ لـقـدـ اـتـخـذـتـ مـجـلـساـ عـنـ قـدـمـيـكـ.. فـدـعـتـيـ فـقـطـ أـجـعـلـ حـيـاتـيـ بـسـيـطـةـ مـسـتـقـيمـةـ، كـمـزـمـارـ مـنـ القـصـبـ تـمـلـأـ بـمـوسـيـقـاـكـ..

أـنـهاـ الأـحـمـقـ الـحـاـمـلـ نـفـسـكـ عـلـىـ كـتـفـيـكـ؛ يـاـ مـنـ جـنـتـ تـسـتـجـدـيـ مـتـسـلـوـاـ عـلـىـ بـاـبـ بـيـتـكـ!.. دـعـ كـلـ حـمـلـكـ بـيـنـ يـدـيـ الـقـادـرـ عـلـىـ حـمـلـ كـلـ شـيـءـ، وـلـاـ تـلـقـتـ إـلـىـ الـخـلـفـ فـيـ أـسـفـ..

إنـ رـغـبـتـكـ لـتـطـفـيـ جـذـوـةـ الـمـصـبـاحـ فـلـوـرـاـ إنـ لـامـسـتـهاـ بـأـنـفـاسـهـاـ.. إـنـهـ لـيـسـ طـاهـرـةـ، فـلـاـ تـقـبـلـ هـدـاـيـاـهـاـ مـنـ يـدـيـهاـ الـمـلـوـثـيـنـ، وـاقـبـلـ فـقـطـ مـاـ يـقـدـمـهـ الـحـبـ الـمـقـدـسـ لـكـ..

إنـ الـوقـتـ الـذـيـ تـسـتـغرـقـهـ رـحـلـتـيـ طـوـيلـ وـدـرـبـهـ طـوـيلـ.. جـنـتـ عـلـىـ الـمـرـكـبـةـ مـعـ تـبـاشـيرـ الصـبـاحـ الـأـوـلـىـ، وـتـابـعـتـ سـفـرـيـ خـلـالـ مـجـاهـلـ الـعـالـمـ مـخـلـفاـ أـشـرـىـ عـلـىـ الـعـدـيدـ مـنـ النـجـومـ وـالـكـوـاـكـبـ.. إـنـ أـبـعـدـ الـمـسـافـاتـ هـيـ الـتـيـ تـقـرـبـ منـكـ، وـذـاكـ أـلـمـ التـمـرـينـ وـالـصـعـوبـةـ الـقصـوـىـ الـتـيـ تـؤـدـيـ إـلـىـ بـسـاطـةـ الـلـحـنـ الـكـامـلـةـ.. فـعـلـيـ الـمـسـافـرـ أـنـ يـقـرـعـ بـاـبـ كـلـ حـلـيـفـ ليـصـلـ إـلـىـ بـاـبـ هـوـ، وـعـلـىـ الـواـحـدـ أـنـ يـجـوـسـ خـلـالـ الـعـالـمـ الـخـارـجـيـةـ ليـصـلـ إـلـىـ الـمـعـدـ الـأـعـمـقـ فـيـ النـهاـيـةـ..

عيـنـيـ تـاهـتـاـ بـعـيـدـاـ وـصـمـيـقاـ قـبـلـ أـنـ أـغـضـمـهـمـاـ وـأـقـولـ "هـأـنـتـاـ"ـ.. الـسـؤـالـ وـالـصـيـحةـ "آـهـ، أـيـنـ"ـ ذـاـبـتـ فـيـ دـمـوـعـ آـلـافـ الـجـدـاـوـلـ وـغـمـرـتـ بـفـيـضـ الـيـقـيـنـ "هـأـنـتـاـ"ـ.. الـأـغـنـيـةـ الـتـيـ جـنـتـ لـأـنـشـادـهـ بـقـيـتـ دـوـنـ أـنـ تـغـنـيـ حـتـىـ هـذـاـ الـيـوـمـ، اـفـنـيـتـ أـيـامـيـ وـأـنـاـ رـأـخـيـ وـأـشـدـ أـوـتـارـ الـأـتـيـ.. فـالـوـقـتـ لـمـ يـسـتـحـ، وـالـكـلـمـاتـ لـمـ تـتـسـقـ جـيـداـ، غـيـرـأـنـ فـيـ قـلـبـيـ أـلـمـ الـأـمـنـيـةـ.. الـبـرـعـمـ لـمـ يـنـتـفـتـ، بـيـدـ أـنـ الـرـيـحـ تـزـفـ بـقـرـبـهـ.. لـمـ أـرـ وـجـهـهـ، وـلـاـ أـصـغـيـتـ لـصـوـتهـ، فـقـطـ سـمـعـتـ وـقـعـ خـطـاهـ الـهـادـئـةـ أـمـاـمـ بـيـتـيـ..

مضـنـيـ نـهـارـ حـيـاتـيـ كـلـهـ وـأـهـيـ مـقـدـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ، لـكـنـ السـرـاجـ لـمـ يـشـعـلـ وـلـاـ أـسـطـعـ دـعـوـتـهـ إـلـىـ بـيـتـيـ.. إـنـيـ أـحـيـاـ عـلـىـ أـمـلـ الـلـقاءـ بـهـ، وـلـكـنـ هـذـاـ اللـقاءـ لـمـ يـحـنـ بـعـدـ؟

إـنـيـ هـذـاـ لـأـنـشـدـ الـأـغـانـيـ لـكـ، فـيـ قـاعـتـكـ هـذـيـ، لـيـ مـقـدـعـ فـيـ الـزاـوـيـةـ.. فـيـ عـالـمـكـ لـاـ عمـلـ أـوـدـيـهـ، فـحـيـاتـيـ الـعـقـيمـةـ لـاـ تـحـسـنـ سـوـىـ أـنـ تـتـفـجـرـ بـأـنـغـامـ لـاـ غـايـةـ لـهـاـ.. حـيـنـ تـحـيـنـ سـاعـةـ صـلـاتـكـ الصـامـةـ فـيـ مـعـبـ مـنـتـصـفـ الـلـيـلـ الـحـالـكـ، مـرـنـيـ يـاـ سـيـدىـ لـمـ تـمـلـأـ أـمـاـكـ لـأـغـنـيـ..

فـيـ نـسـيمـ الصـبـاحـ عـنـدـمـاـ يـعـزـفـ الـمـعـزـفـ الـذـهـبـيـ، مـرـنـيـ، اـمـنـحـنـيـ شـرـفـ الـمـثـولـ أـمـاـكـ.. لـقـدـ تـلـقـيـتـ دـعـوـتـيـ إـلـىـ عـيـدـ هـذـاـ الـعـالـمـ، وـلـذـلـكـ أـصـبـحـتـ حـيـاتـيـ مـبـارـكـةـ، عـيـنـيـ رـاتـاـ وـأـذـنـيـ سـمـعـتـاـ..

لـقـدـ كـانـ عـلـيـ فـيـ هـذـاـ عـيـدـ أـعـزـفـ عـلـىـ أـنـتـيـ، وـقـدـ فـعـلـتـ كـلـ مـاـ اـسـتـطـعـتـ.. وـأـنـتـيـ لـأـسـالـ الـآنـ، هـلـ أـنـاـ أـلـوـاـنـ أـخـيـرـاـ كـيـ أـدـخـلـ هـارـيـ وـجـهـكـ وـأـرـفـعـ لـكـ تـحـيـاتـيـ الـصـامـةـ..

B7747@HOTMAIL.COM